مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

مقالات

(النبيّ) صلى الله عليه وآله في مواجهة الأفكار المنحرفة

الشيخ طالب رحمة الساعدي

2024

www.barathacenter.com

(النبيّ) ﷺ في مواجهة الأفكار المنحرفة

الشيخ طالب رحمة الساعدي

◆ تاريخ الطبعة:
2024 م- 1446هـ

◆ مكان الطبعة:
بيروت - بغداد

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

النبيّ ﷺ في مواجهة الأفكار المنحرفة

◂ الشيخ طالب رحمة الساعدي[1]

ملخّص

تسلّط الورقة الضوء على سياسة النبيّ (ص) وإدارته، لاستصلاح حال مجتمعه وتحدّيات عصره، التي قد تعيد نفسها في عصرنا بأشكال مختلفة، ومناقشة تدابيره لـ:

- كشف الشبهات الفكريّة ودفع الفتن.
- التصدّي لحركات النفاق والانحراف.
- إقامة الحكومة الإلهيّة.

عبر بيان الأمراض الاجتماعيّة، وبيان العقائد الصحيحة، ونشر الرؤية الكونيّة الإلهيّة.

الكلمات المفتاحية:

سياسة النبيّ، إدارة النبيّ، جهاد التبيين، الجاهليّة الحديثة.

1 - أستاذ في الحوزة الدينيّة.

مقدّمة

للسـيرة النبويّة أهمّيّة خاصّة عند المسـلم، فهي إيمان وعلم، وفقه للرسول والرسالة، وتعريف للمسلم بنبيّه الذي ينتمي إليه، ويتقرّب إلى ربّه بالاقتداء به.

وكما هو معـروف عند مؤرّخي حياة النبيّ الأعظم (ص)، فإنّهم يقسّـمون حياته إلى مرحلتَين:

1. مرحلة ما قبل البعثة.
2. مرحلة ما بعد البعثة.

في هذه الدراسـة نتابع شـيئًا من حياته (ص)، حتّى يمكن لنا أن نسـتفيد من مواقفـه التي انطلق منها لتغيـير حياة الناس، وهذا ما يفـرض أن نتناول موضوع الدراسة من زاويتَين:

الأولى: دراسة المجتمع الذي عاصره النبيّ (ص).

الثانية: ذكر أسـاليب النبـيّ (ص) التي اسـتعملها لهداية النـاس ومواجهة المنحرِفين.

وهما محلَّي الكلام.

دراسة المجتمع الذي عاصره النبيّ (ص)

نشرع ببيان المرحلة الأولى من سيرة الرسول الأعظم (ص). وهذا البيان قد ذكره كلٌّ من الإمام أمير المؤمنين (ع)، وسيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء (ع)، حيث قال أمير المؤمنين (ع) في الخطبة 26 من نهج البلاغة:

«إِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى] بَعَثَ محمّدًا (ص) نَذِيرًا لِلْعالمينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ»[1].

يتطرّق الإمام (ع) في هذا المقطع من الخطبة، إلى أوضاع العرب في الجاهليّة، فيرسم صورة واضحة الملامح عن حياتهم، عبر الأبعاد الفكريّة والعاطفيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، بحيث لا نتوصّل لهذه الصورة التي رسمها الإمام (ع)، ولو طالَعْنا المؤلّفات كافّة التي صُنِّفَت بشأن العرب في العصر الجاهليّ، فقد بيّن الإمام (ع) هذه الأبعاد الأربعة في عشرة عبارات مقتضبة عظيمة المعنى.

البُعد الفكريّ والعَقَديّ

يقول (ع): «وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ».

1 - الشريف الرضيّ، نهج البلاغة، ص68.

أيّ دين أسوأ من الوثنيّة؟! أن ينحت عاقل قطعةً من الحجر أو الخشب بيده، ثمّ يعبدها ويسجد لها، ويرى مقدّراته بيدها، ويلوذ بها في حلّ المشاكل التي تواجهه في حياته، أو أن يصنع صنمًا من التمر، يتّخذه إلهًا، فإذا جاع أكله! مضافًا إلى ذلك، فإنّ طقوس هؤلاء القوم مملوءة بالخرافات والعقائد السخيفة البعيدة عن المنطق[1]، والتي ذكرها القرآن الكريم في آيات متفاوتة، فمنها اعتقادهم أنّ الملائكة بنات الله، في حين ينفرون أنفسهم بشدّة من البنات[2]، وينكرون

1 - قال المسعوديّ: كانت العرب في جاهليّتها فِرَقًا: منهم الموحِّد المقرّ بخالقه، المصدِّق بالبعث والنشور، موقنًا بأنّ الله يثيب المطيع، ويعاقب العاصي... وكان من العرب مَن أقرّ بالخالق، وأثبتَ حدوث العالَم، وأقرّ بالبعث والإعادة، وأنكر الرسل، وعكف على عبادة الأصنام، وهم الذين حكى الله عزّ وجلّ قولَهم: ﴿**ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى**﴾ – الآية. وهذا الصنف هم الذين حجّوا إلى الأصنام وقصدوها، ونحروا لها البُدْنَ، ونسكوا لها النسائك، وأحلّوا لها وحرّموا. ومنهم مَن أقرّ بالخالق، وكَذَّب بالرسل والبعث، ومال إلى قول أهل الدهر، وهؤلاء الذين حكى الله تعالى إلحادَهم، وخَبَّرَ عن كفرهم، بقوله -تعالى-: ﴿**وقالوا ما هيَ إلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نموتُ ونحيَا وما يُهْلِكُنَا إلاّ الدَّهْر**﴾، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿**ما لهم بذلك من عِلم إنْ هُمْ إلاّ يَظُنُّون**﴾. ومنهم مَن مالَ إلى اليهوديّة والنصرانيّة / انظر: مروج الذهب، ج2، ص 102.

2 - سورة الزخرف، الآية 19.

القيامة[1]، ويشاورون أصنامهم في الأمور المهمّة[2].

البُعد الاقتصاديّ

حيث قال (ع): «وَفي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَينَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ...».

فقوله «مُنِيخُون»: أي مقيمون، فيكون المعنى: «وفي شرّ دار مقيمون»، على الرغم من أنّهم كانوا يعيشون في مكّة أو المدينة غالبًا، ولكنّه وصفها (ع) بـ«شرّ دار»؛ بسبب الممارسات التي كانت تحصل فيها.

فقد أقام العرب في مكّة، بين «حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَّاتٍ صُمٍّ»؛ أي إنّ مكّة والمدينة، مع قداستهما ومكانتهما المعنويّة المعروفتَين، فقد فَقَدَتا ذلك؛ بسبب تبدُّلهما إلى مركزَين للأصنام والأوثان والفساد والانحراف. وما زاد الطين بلّة، هو انهيار الوضع الصحّيّ والبيئيّ لهذا المجتمع، فأحاطت بهم عواصف الرمل والرياح المحرقة في تلك الصحاري الجرداء، بحيث إذا تمكّن أحدُهم من العثور على بقيّة ماء في بعض البرك والآبار، فإنّه كان على درجةٍ من التلوّث والتعفّن

1 - سورة القيامة، الآية 6، سورة الكهف، الآية 105.

2 - سورة الشعراء، الآية 71. حيث إنّ كلمة «عاكفين» -الموجودة في الآية- مأخوذة من «العكوف»، ومعناه التوجُّه نحو الشيء وملازمته باحترام. انظر: ناصر المكارم الشيرازيّ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج11، ص 392.

بسبب هبوب الرياح، أو تلويثه مِن قِبَل بعض الأفراد، حتّى ليشعر شاربه بالغثيان، غير أنّهم كانوا مضطرّين لشربه. ولم يكن طعامهم بأفضل ممّا عليه الشرب.

البُعد الاجتماعيّ

حيث قال (ع): «وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ».

فقد أشار الإمام (ع) في هذا المقطع إلى أوضاعهم الاجتماعيّة المزرية، وانعدام الأمن والاستقرار. والتعبير بالمضارع «تسفكون دماءكم»، كسائر الأفعال في عبارات الخطبة، يفيد استمراريّة تلك الأوضاع المتفاقمة. وكانوا في حالة من العصبيّة الجاهليّة تجعل سيوفهم تُشهَر لأتفه الأسباب، ليخوضوا أعنف المعارك وأشرسها لسنوات، مثل حروب البسوس، وبعاث، وداحس والغبراء، والمناذرة، والغساسنة، وقطع الطرق.

البُعد العاطفيّ

حيث قال (ع): «وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ»، مشيراً إلى قضيّة وأْد البنات ودفنهنّ أحياء، حيث كان العرب في الجاهليّة يرَوْن أنّ البنات يجررنَ عليهم الخزي والعار، فكان أحدهم يتوارى عن الأنظار، خجلاً، إذا وُلِدَت له بنت، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ**

﴿أَلَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[1]. بل لم يكتفوا بقتل البنات، فعمدوا إلى قتل الأولاد خشية الفقر، الأمر الذي نهى القرآن عنه بشدّة، حيث أفرده القرآن عن العنوان العامّ، وهو قتل النفس المحرّمة[2].

ويختتم الإمـام (ع) كلامهُ بخلاصة مفاسـدهم المعنويّـة والمادّيّة، بالقول: «الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ».

وكأنّ تعبيره «منصوبة» يشير إلى أنّهم كانوا يفتخرون بهذه الأصنام، فينصبونها في كلّ مكان، فضلاً عن عبادتها والسـجود لها. و «معصوبـة» من مادّة عصب (ما يربط العضلات بالعظام)، إشارة إلى لزوم أنواع المعاصي ورسوخها -مِن قَبيل سفك الدماء، وقتـل النفس، وقطع الرحم، والتعـرّض للنواميس، ونهب الأمـوال، وشرب الخمر، والقمار- وغيرها من الأمراض النفسيّة والاجتماعيّة التي اجتاحت عرب الجاهليّة.

في موضع آخر، ذكرَت السيدة الزهراء (ع) بعضًا من ملامح تلك الفترة، فقالت في خطبتهـا الأولى: «... فرأى الأمم فِرقًـا في أديانها، عُكّفًا على نيرانها، وعابدةً لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها...».

---

1 - سورة النمل، الآيتان 58-59.

2 - انظر قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْءًا كَبِيراً * وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَـةً وَساءَ سَبِيلاً * وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾ سورة الإسراء، الآيات 31-33.

تتحدَّث (ع) في هذا المقطع، واصفةً انحطاط الحياة الدينيّة للمجتمع الجاهليّ، والتفسّخ العَقَديّ في ذلك العهد، فتذكر أنّ رسول الله (ص) رأى أهل الأرض على أديان متفرّقة، من يهود ونصارى ومجوس وصابئة وملاحدة وزنادقة، مقيمين على مختلف أنواع الانحرافات الخلقية التي تخالف الفطرة، كما المجوس الذين كانوا يقدّسون النار إلى حدّ العبادة، بل ويبنون بيوتًا للنار، ويحافظون على إبقائها كي لا تنطفئ، ويعبدون الأوثان، وهذا على الرغم من أنّهم يعرفون الله، كما قال تعالى: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثمّ يُنْكِرُونَها وَأَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ**﴾[1]. والأدهى أنّهم كانوا يعرفون الخالق والصانع بالفطرة والوجدان والعقل، ومع ذلك، ينكرونه في سلوكهم وكلامهم.

والخلاصة: إنّ السبب الرئيس لهذا الانحراف السلوكيّ والأفعال المشينة، هو الفساد العَقَديّ والفكريّ؛ لأنّ الإنسان الذي تكون عقيدته صحيحة، لا بدّ أن تكون أعماله وأفعاله صحيحة؛ لأنّ أعماله وأفعاله تكون نتيجة لأفكاره وعقائده، يقول تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه**﴾[2].

أساليب النبيّ (ص) التي استعملها لمواجهة الانحرافات

سياسة النبيّ (ص) وتدبيره وإدارته لاستصلاح حال المجتمع البشريّ

1 - سورة النحل، الآية 83.

2 - سورة فاطر، الآية 10.

آنذاك، تركّزت على:

- تبليغ الأحكام والتعاليم الإلهيّة وإيصالها إلى الناس[1].
- تبيين التعاليم الإلهيّة للناس[2].
- إقامة الحكومة الإلهيّة[3].

ولمّا كان التبيين هو علمٌ بالشيء بعد لَبسٍ واشتباه فيه[4]، كان عمل رسول

---

1 - انظر: ما رواه الكلينيّ عَنْ هشَام بْن الْحَكَم عَنْ أَبي عَبْد اللَّه (ع) أَنَّهُ قَالَ للزّنْديق الَّذي سَأَلَهُ: من أَيْنَ أَثْبَتَّ الأَنْبيَاءَ وَالرُّسُلَ؟ قَالَ: إنَّا لَمَّا أَثْبَتْنَا أَنَّ لَنَا خَالقًا صَانعًا مُتَعَاليًا عَنَّا وَعَنْ جَميع مَا خَلَقَ، وكَانَ ذَلكَ الصَّانعُ حَكيمًا مُتَعَاليًا، لَمْ يَجُزْ أَنْ يُشَاهدَهُ خَلْقُهُ، وَلَا يُلَامسُوهُ، فَيُبَاشرَهُمْ وَيُبَاشرُوهُ، وَيُحَاجَّهُمْ وَيُحَاجُّوهُ، ثَبَتَ أَنَّ لَهُ سُفَرَاءَ في خَلْقه، يُعَبِّرُونَ عَنْهُ إلَى خَلْقه وَعبَاده، وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى مَصَالحهمْ وَمَنَافعهمْ وَمَا به بَقَاؤُهُمْ، وَفي تَرْكه فَنَاؤُهُمْ؛ فَثَبَتَ الآمرُونَ وَالنَّاهُونَ عَن الْحَكيم الْعَليم في خَلْقه، وَالْمُعَبِّرُونَ عَنْهُ جَلَّ وَعَزَّ، وَهُمُ الأَنْبيَاءُ (ع) وَصَفْوَتُهُ منْ خَلْقه...". الكلينيّ: الكافي، باب الاضطرار إلى الحجّة ح1/ ج1، ص 168.

2 - انظر قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ ميثاقَ الَّذينَ أُوتُوا الْكتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَليلاً فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ**﴾. سورة آل عمران، الآية 187.

3 - انظر: الآيــة ﴿**كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ**﴾. سورة البقرة، الآية 213.

4 - انظر: محمّد: واعظ زاده الخراساني: المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته، ج7، ص 340.

اللـه (ص) يتركّز على بيان العقائد الإلهيّة الصحيحة لهذا المجتمع، ونشر الرؤية الكونيّـة الإلهيّة بين أفراد مجتمعٍ صاحبِ رؤيـةٍ كونيّة باطلة -إن وُجِدَت- وذلك عن طريق:

أوّلًا: القدوة الحسنة والمعاشرة بالمعروف

بحيث اشـتهر بين الناس بـ «الصادق الأمين»، وكذلك كان يشـجع على الأخلاق الحسـنة ومظاهر العدل والاستقامة، ويكون المبادر لها، كما نجده في حادثـة حلف الفضول، الذي كان في ما مـضى ميثاقٌ بين الجرهميّين[1]، يهدف إلى الدفاع عن حقوق المظلومين، وقد شـارك رسـول اللّه (ص)، في هذا الحلف الذي ضمن حقـوق المظلومين وحياتهم، وقد نُقِلت عنه (ص) عبارات كثيرة يُشِـيد فيها بذلك الحلف، ويعتزُّ فيها بمشـاركته فيه، منها قوله (ص): «لقد شَهِدْتُ في دار عبد اللّه بن جدعان حلفًا، لو دُعِيتُ به في الإسلام لأجبتُ»[2].

1 - «جُرْهُم» قبيلة قديمة من السـكّان الأصليّين لـشبه الجزيرة العربيّة، نزلوا بـ مكّة عند هاجر وابنها إسـماعيل(ع)، قادمين من جنوب الجزيرة العربيّة، وحينما كبر إسـماعيل، تزوَّج منهـم. انظر: ابـن كثـير الدمشـقيّ: البداية والنهاية، ج 2، ص 184.

2 - جعفر السبحاني: سيّد المرسلين (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ج1، ص 280.

نظرة تحليليّة في حلف الفضول

إنّ نظرة تحليليّة بسيطة على هذا الحلف، تقودنا إلى تسجيل الملاحظات الآتية:

1. إنّ ثناء النبيّ (ص) على هذا الحلف، ومشاركته فيه، وإمضاءه له، يدلّون على أنّ هذا الحلف، وإن كان عُقِد أيّام الجاهليّة، إلّا أنّه ينسجم في أهدافه مع أهداف الإسلام؛ لأنّه قائم على أساس الحقّ والعدل والخير ونصرة المستضعفين.

2. إنّ النبيّ (ص) امتدح هذا الحلف، وثنى عليه، على الرغم من أنّ الذين قاموا به كانوا -وقتها- غير مؤمنين بالله -تعالى-، وفي المقابل، فهو (ص) يهدم مسجدًا -مسجد ضرار- مع أنّ الذين بنوه -وقتها- كانوا متظاهرين بالإسلام. وهذا يؤكّد النظرة العميقة التحليليّة للنبيّ، وأنّه (ص) إنّما كان ينظر إلى مضمون العمل وجوهره، وليس إلى شكله وصورته، فالمسلم لا تغره المظاهر، ولا تخدعه الشعارات، مهما كانت برّاقة، إذا كانت تخفي وراءها الوصوليّة والخيانة والتآمر، فالحقّ حقّ ومقبول، ولا بدّ من الالتزام به والتعامل على أساسه، ولو صدر من مشرك، والباطل باطل ومرفوض، ولا يجوز الالتزام به ولا التعامل معه، مهما كانت شعاراته وعناوينه برّاقة ومغرية.

3. إنّ اهتمام النبيّ (ص) بحلف الفضول، إنّما يدلّ على أنّ الإسلام ليس منغلقًا على نفسه، بل منفتح مع البيئة التي يعيش فيها، في سياق الاستعانة بالموارد المتاحة كلّها، لإحقاق الحقّ وإبطال الباطل.

4. إنّ تصريح النبيّ (ص) بموقفه من هذا الحلف، لعلّه كان في سياق تحريك المشاعر وإيقاظ الضمائر، للتحالف والتكتّل في وجه الظلم والعدوان، والتعاون علـى الخير والإحسـان، والأمر بالمعـروف، والنهي عن المنكـر، في كلّ عصر وزمان، وخاصّة إذا انحرف الحاكم، واتّبع أهواءه، واستغلّ أموال الناس وخيرات البلاد والعباد لمصالحه وأطماعه الذاتيّة.

ثانيًا: المناظرات العلميّة ودفع شبهات المشركين

لو تصفّحنا أوراق التاريخ الإسـلاميّ، لرأينا أنّ قريشًـا كانت تسعى، بكلّ جهدها، أن تهدم صرح الإسلام الجديد الظهور، وأن تحطّ من شأن مؤسّسه وبانيه، ولكنّه (ص) وقف بوجههم وقوف المدافع الصلد، حيث عمل على بيان بطلان أصول ما يؤمنون به وقواعده، وهذا ما ذكرته الآيات الآتية:

1. ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ لاٰ بُرْهٰانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمٰا حِسٰابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ اَلْكٰافِرُونَ﴾[1].

2. ﴿مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّٰ أَسْمٰاءً سَمَّيْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَآبٰاؤُكُمْ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ إِنِ اَلْحُكْمُ إِلاّٰ لِلّٰهِ أَمَرَ أَلاّٰ تَعْبُدُوا إِلاّٰ إِيّٰاهُ ذٰلِكَ الدِّينُ

1 - سورة المؤمنون، الآية 117.

ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

3. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[2].

4. ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[3].

5. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[4].

6. ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[5].

7. ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[6].

فهذه النصوص المباركة توضح للناس أنّ ما يعتقد به المشركون يتّصف بأن:

---

1 - سورة يوسف، الآية 40.

2 - سورة الحجّ، الآية 71.

3 - سورة يونس، الآية 66.

4 - سورة يونس، الآية 36.

5 - سورة النجم، الآية 23.

6 - سورة الأنبياء، الآية 24.

1. ليس لهم دليل صحيح عليه؛ لقوله: "لا برهان له"، وقوله: "ما لم ينزل به سلطانًا".

2. عقائدهم قائمة على الظنّ والخرَص، الذي يأتي بمعنى التخمين والكذب[1].

3. ما يعبدون عبارة عن أسماء بلا عناوين.

4. لا حكم ولا متحكّم أو متصرّف في الكون، أو في شؤون الإنسان، إلّا الله تعالى.

ثالثًا: الجهر المتكرّر بالبراءة من الجاهليّة وأفعالها

قال تعالى ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنين**﴾[2].

ولتأكيد مبدأ البراءة، ذُكِرَت في القرآن الكريم كفعلٍ فَعَله قومٌ، وصاروا أسوةً للآخرين، وذلك في معرض الحفاوة بكونها أسوة حسنة، حيث يقول الباري -تبارك وتعالى-: ﴿**قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فى إِبْراهيمَ وَالَّذينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَدًا حتّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾[3].

---

1 - ناصر، المكارم الشيرازيّ: نفحات القرآن، ج 3، ص 166.

2 - سورة النساء، الآية 144.

3 - سورة الممتحنة، الآية 4.

فهذه الآيات ترشدنا إلى واقعيّة البراءة في المجتمع الموحّد، حيث ذِكرها ملاك ومحور للاقتداء والاتّباع. وميزان البراءة، أو مقياسها وأساسها، هو عدم الشرك بالله؛ أي رفض عبوديّة الطواغيت؛ أي التوحيد الإلهيّ العمليّ، كما تذكر الآية في مكانَين:

- ﴿إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ ومِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.
- ﴿كَفَرْنا بِكُمْ وبَدا بَيْنَنا وبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ والْبَغْضاءُ أَبَدًا حتّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾.

وقاعدة البراءة لها مراحل ومستويات عدّة:

أوّلها: مواجهة العدوّ بالبراءة.

حيث تقول الآية ﴿إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ﴾؛ أي إعلام العدوّ أو الطرف الآخر أنّا مبتعِدون عنكم، ولا نتّبع خطواتكم، ولا نودّكم، ففي هذا الإعلان للبراءة صفعة قويّة للعدوّ، وفي الوقت نفسه، تكون زيادة حرص وحذر من الأعداء، وتقوية للإيمان الموجود بين أفراد المجتمع، وتوكّلهم على الحقّ تعالى.

ثانيها: إعلان المخالفة العَقَديّة لهم.

حيث تقول الآية: ﴿كفرنا بكم﴾، ففي هذا المستوى، تتجسّد البراءة

النظريّة في الكفر بما يعتقده أعداء الإسلام؛ أي عدم التصديق أصلاً بما يطرحونه من مفاهيم ونظريّات وأيدولوجيات؛ لأنّها كلّها صارت من وليّهم الظالم أو المستكبر. ذلك أنّ ثقافتهم وأفكارهم لا ترتكز على هداية الحقّ تعالى، بل تبتني على إيجاد ركائز فكريّة قبال دعوة الله عزّ وجل، وهذا ما نشاهده اليوم، حيث نشهد كيف أنّ أفكار أعداء الإسلام قد غزت عقول متعلّمينا، وكتب مكتباتنا العامّة، حتّى إنّ بعض الوسائل الإعلاميّة الرسميّة في الدول الإسلاميّة قد غُزِيَت بثقافة أعداء الإسلام.

ثالثها: إعلان العداوة والبغضاء.

حيث تقول الآية ﴿**وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَدًا حتّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾.

وهذا المستوى يجسّد البراءة العمليّة التطبيقيّة؛ أي الحرب والقتال في سبيل الله، ضدّ أعداء الله. وهذا القتال مستمرّ إلى أن يتحقّق الهدف من البراءة، أو أساس البراءة، وهو الإيمان بالله، وتوحيده العمليّ، ورفض غيره من الظالمين والمستكبرين واتّباعهم. وهذا المستوى كثيراً ما نردّده في زياراتنا للأئمّة (ع).

لائحة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

2. الدمشقيّ، ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.1982م.

3. السبحانيّ التبريزيّ، جعفر، سيّد المرسلين (صلّى الله عليه وآله وسلم)، مؤسّسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قمّ - إيران، 1399 هـ.ش.

4. الشريف الرضيّ، محمّد بن حسين، نهج البلاغة (للصبحي صالح) - قمّ، ط1، 1414 هـ.ق.

5. الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي (ط - الإسلاميّة) - طهران، ط 4، 1407 هـ.ق.

6. المسعوديّ، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (ت 346)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق أسعد داغر، قمّ، دار الهجرة، ط2، 1409هـ.ق.

7. المكارم الشـيرازيّ، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مجلّد 20، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب (ع)، إيران - قمّ، ط1، 1421 هـ.ق.
8. المكارم الشـيرازيّ، ناصر، نفحات القرآن، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، قمّ - إيران، 1384 هـ.ش.
9. واعظ زاده الخراسانيّ، محمّد، المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته، مجلّد 24، إيران - مشهد المقدّسة، ط 2، 1388 هـ.ش.

مَركز بَراثا للدِّراسَات وَالبُحوث
بَيروت - بَغداد
Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

المشرف العام: الشيخ جلال الدين علي الصغير
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638